الغفار) . وقرر سبحانه أنه لا تبديل لسننه فى الخلق ولا تحويل (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله) ، (فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) ، (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) . وهذا المبدأ ، مبدأ ثبوت الفطرة من غير تبديل ، الذى أعلنه الله سبحانه للناس فى القرآن ، مبدأ عام يشمل جميع ميادين الفطرة ، ما تطاول العلم الى بحثه فى ميدان المادة ، وما لم يتطاول إلى بحثه فى ميدان الاجتماع ، كما هو مقتضى سياق تلك الآيات فى القرآن

أما أصل انسجام الفطرة فقد قرره الله سبحانه حين قال جل وعلا : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) . وارتفاع التفاوت يستلزم حتما ارتفاع التناقض الذى هو أكبر التفاوت ؛ وقد تقرر نفس الأصل فى صورته الأخرى : صورة انتفاء الباطل بالحق فى قوله تعالى : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون) . فالاسلام يؤيد العلم تأييدا تاماً حين تخون العلم قدرته ، وتضعف حجته . ويستطيع العلم فى يقين المسلم أن يمضى فى سبيله مطمئناً على وجوده ، غير مبال باعتراض الفلسفة ، اعتمادا على ما أعلنه رب الفطرة للناس فى القرآن

أما أصل استقلال الفطرة عن الانسان فقد أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم للناس يوم مات ابنه ابراهيم وكسفت الشمس فتحدث الناس أنها كسفت لموت ابراهيم ، فخطبهم صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى خطبة قال فيها : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا » ؛ ثم زاد القرآن الكريم ذلك الأصل تقريرا وتوضيحاً فى قوله تعالى : (أم يقولون به جنة ، بل جاءهم بالحق ، وأكثرهم للحق كارهون ، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) . فأنت فيما يتعلق بأصول الفطرة ترى تمام الاتحاد بين ما قام عليه العلم وما قرره الاسلام

(يتبع) محمد أحمد الغمراوى

العقيدة

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

غذاء القلب وطمأنينة الروح ، ملجأ الضعيف وسلاح القوى . هى حقيقة امتزجت بحلاوة الخيال ، أو خيال لبس أحياناً ثوب الحقيقة . وما هذا الخيال وتلك الحقيقة إلا صرح كثيراً ما شدناه بأنفسنا لأنفسنا كى نكمل ما فى عالم الواقع من نقص ، ونحقق بعض ما نصبو إليه من ميول وآمال . فان ما فينا من قلب خافق وعواطف متأججة ، ينزع الى أمانى ورغبات لا حصر لها . ولذتنا فى تصور هذه الأمانى وسعادتنا فى السير وراءها . فان لم نجد السبيل الى تحقيقها حيث نرى ونسمع رسمنا لها مملكة سامية فوق مملكة الحس والمشاهدات ، وآمنا بها إيماناً لا يقل عن إيماننا بالمرئيات والملموسات . على أن ما فينا من عقل يحلل ويبرهن ويعلل يدفعنا الى الاعتقاد والاستمساك بآراء نتعصب لها وندين بها . فالعقيدة حاجة إنسانية وأثر من آثار قوى النفس على اختلافها . وهى فوق هذا ضرورة اجتماعية وركن هام من أركان التعاون والارتباط . ولا يمكن أن تتصور جمعية بشرية لا يخضع أفرادها لمبدأ واحد وعقيدة مشتركة . واتحاد الدين والعقيدة من أول الخصائص التى يتميز بها الشعب والأمة . وليست العقيدة المتحدة مجرد رمز وشارة للأمة فحسب ، بل هى مصدر تأثير كبير وقوة لا نهائية . هى مبعث حرارة تدفئ القلوب فتدفعها الى الأمام وتملؤها بالأمل والرجاء . ومستودع كهربائية عظمى يرسل فى الأفراد ما يرسل من موجات سالبة وموجبة فيتجاذبون ويأتلفون ، ويلتقون عند غاية واحدة وغرض أسمى . وإنا لنسير فى الحياة غالباً بدافع من عقائد مختلفة بين دينية ووطنية وعلمية

وفلسفية . والعقيدة كالأمل الحلو إن لم تبلغك الغاية فقد آنستك ونعمت بهـا زمناً . على أنها فى ساعة الفشل خير عزاء ، وعند اشتداد الخطب أقوى ركن تطمئن إليه إن وهنت الأركان كلها . وإذن فالعقيـــدة للفرد عون ونصير ، وللجمعية باعث ومثير وهاد ومرشد

ومن حسن حظ الانسـانية أن المرء ميال الى الاعتقاد بفطرته ، ومدفوع إليه بغريزته ؛ فالتسليم أصلى والشك عرضى ، ولا أدل على هذا من أن حيـاة الانسان الأول كانت سلسلة من العقائد يرتبط بعضها ببعض ، وقد توارثها الخلف عن السلف وأذعنوا لها دون بحث وتعليل . والطفل وهو صورة مصغرة للانسانية فى أول نشـأتها يسلم بكل شىء يلقى إليه ، ويعتقـد فى السحرة والمشعوذين والجن والشـياطين . ولا تبدأ حيرة الشك لديه إلا حين يصطدم عالم الفكر بعالم الواقع ، ويتعارض أمامه أمران كان يؤمن من قبل بثبوتهما . فترتاب نفسه وتشعر بشىء من الخيبة لم تكن تتوقعه . ويظهر أن الشك كان فى أول أمره ظاهرة عاطفية قبل أن يكون مناقشة عقلية وحساباً منطقياً . وليس الشك شراً كله ، بل قدر منه مدعاة البحث ومفتاح الحقيقة ، وقديما قالوا : الشك مبدأ الحكمة ومدرسة الحقيقة . وقد استطاع سقراط بين الاغريق بشىء من الشـك التهكمى أن يستخرج المعارف من نفوس محدثيه ومناقشيه . ثم جاء ديكارت فى التاريخ الحـديث فاتخذ من الشك طريقة فلسفية ومبدأ علمياً . للشك حكمته ومنفعته ، فهو ينبه الفلسفة إلى أخطائها ويقف العقل عند حده ويرشده إلى نقصه . غير أن قيمة الشك فى طريقة استعماله ووضعه فى موضعه . فالشك فى كل شىء قضاء على المعرفة من أساسها وهدم للحقائق على اختلافها . وقبول المعلومات من غير بحث وتمحيص انقياد أعمى واستسلام مرذول وضعف فى التفكير . وغنى عن البيان أن الشك ضرب من الحرية واستقلال الرأى . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الشكاك القدامى والمحدثين لفتوا نظر الانسانية إلى أخطائها الشائعة وكشفوا الغطاء عن كثير من أباطيلها المسلمة . وكل ما يؤخذ عليهم أنهم أرسلوا للشك العنان ، وجالوا به فى كل ميدان ، فقضوا على ما كان فيهم من عبقرية ، وأصبح شكهم داء بدل أن يكون دواء ، وهدموا بالشمال ما بنوه باليمين . وليس فى الشك المقبول امتهان للحقيقة أو اعتداء عليها ، بل هو اعتداد بها وتقدير لها وجد فى طلبها . حقاً إن الشك حيرة وحمى قد تخشى على النفس مغبتها ؛ بيد أنه قل أن يقـدر اليقين قدره من لم يغرق فى بحار الشك قليلاً . والضال إذا وجد الطريق كان له بهذا فرحة تملأ العين والقلب

اليقين كلمة عذبة الجرس حلوة الرنين سامية المعنى رفيعة المدلول ؛ تطرب الأذن لسماعها ، وتتوق النفس دائماً إلى أن تحظى بحقيقتها . ينشده العالم فى بحثه ، ويرمى إليه الفيلسوف فى درسه ، كلاهما يبغى أن يصل إلى الحقيقة الثابتة التى يذعن لهـا الجميع فى مختلف الظروف والأمكنة . وإذا كان الشك اضطراباً وحيرة فاليقين هدوء وطمأنينة . هدوء لأنه راحة بعـد عناء ، ووصول بعد مجهود ، وطمأنينة لأنه حصن حصين ، وركن أمين ؛ وكيف لا وهو قوة تستمد سلطانها من نور الحقيقة ، وحال يشعر المرء فيهـا بأنه لا يسمع إلا صوت الحق ولا يصغى إلا لندائه . ولو تأملنا لوجدنا أنا فى مرحلة اليقين أقوياء ضعفاء : أقوياء لأنا نحس بأنا نفذنا إلى قلب الأشياء ووصلنا إلى قمة العـالم وتجردنا من قيود المادة والزمن واتصلنا بكل ما هو باق أزلى ، وضعفاء لأن جلال الحقيقة التى نعتنقها أسكت كل صوت فينا ، فألغى هواجسنا وخواطرنا ، وقضى على ميولنا وأهوائنا ، وأضعف شـخصيتنا أو محاها بحيث نصبح ولغة العالم والانسـانية جمعاء ديدننا وشعارنا

هذا هو اليقين فى ظواهره وأثره وشدته وبأسه . فهو إذن العقيدة فى أكمل صورها والإيمـان فى أسمى أشكاله . وكثيراً ما حاول بعض الباحثين فصل اليقين من العقيدة ، والمباعدة بين العلم والدين : ووضع حاجز بين العقل والعاطفة ؛ إلا أن اليقين لا يتحقق إلا بعـد عقيدة سابقة ، والعقيدة إن سمت وكملت أضحت يقيناً . والعلم برهن غير مرة على أن له نطاقاً لا يتعداه وحدوداً لا يستطيع أن يتجاوزها ؛ فليدع الدين يتكلم فيما أعد له ويتصرف فى دائرته . والانسان عقل وقلب وتفكير وعاطفة ؛ ومن العبث أن يهمل أحد هـذين الجانبين أو يلغى ، فان ذلك خروج على الطبيعة وعكس لنظام الأشـياء . وليس من عار أن يكون فى الأديان قدر كبير يرضى العواطف الانسانية ، بل العا كله أن تخلو من ذلك .

ابراهيم بيومى مدكور